

التزامن والتعاقب في سورة يوسف عليه السلام (قصة امرأة العزيز انموذجا)

في ضوء الاستلزام التخاطبي

أ.م.د. عبدالرزاق حامد مصطفى

كلية التربية الاساسية

1.abdaaa.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على مصطلحي التزامن التعاقب بوصفهما من الظواهر الدلالية في الخطاب اللغوي، ودراستهما في ضوء مفهوم الاستلزام التخاطبي. ويسعى إلى بيان الكيفية التي يُستدل بها على العلاقات الزمنية والمنطقية بين الأحداث والأقوال من خلال ما يصرّح به المتكلم وما يلمّح إليه ضمناً، اعتماداً على السياق ومبادئ التخاطب. كما يوضح دور الاستلزام التخاطبي في تفسير ما إذا كانت الأحداث تقع في وقت واحد (التزامن) أو تتتابع زمنياً (التعاقب)، حتى في الحالات التي لا تُذكر فيها هذه العلاقات بشكل صريح.

الكلمات المفتاحية: التزامن ، التعاقب، الاستلزام التخاطبي، مقولة الكم، مقولة الكيف

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على مصطلحي التزامن التعاقب بوصفهما من الظواهر الدلالية في الخطاب اللغوي، ودراستهما في ضوء مفهوم الاستلزام التخاطبي. ويسعى إلى بيان الكيفية التي يُستدل بها على العلاقات الزمنية والمنطقية بين الأحداث والأقوال من خلال ما يصرّح به المتكلم وما يلمّح إليه ضمناً، اعتماداً على السياق ومبادئ التخاطب. كما يوضح دور الاستلزام التخاطبي في تفسير ما إذا كانت الأحداث تقع في وقت واحد (التزامن) أو تتتابع زمنياً (التعاقب)، حتى في الحالات التي لا تُذكر فيها هذه العلاقات بشكل صريح، وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول المداخل التعريفية للمصطلحات الواردة بالبحث، أمّا المبحث الثاني فكان عن المعاني المستلزمة للآيات محور البحث، في حين جاء المبحث لإظهار الاستلزام التخاطبي للآيات الواردة ضمن البحث.

المبحث الأول : مداخل تعريفية بالمصطلحات الواردة في البحث

أولاً: التزامن والتعاقب لغة

التزامن: " يتزامن، تزامناً، فهو مُتزامن تزامن الشَّيْئَانِ: اتَّفَقَا في الزَّمن، حدثا في وقت واحد تزامن وصول الطائرَين وقوع الحادثَين". (عمر: 997/2).
التعاقب: " تعاقب الشَّيْئَانِ: إذا خلف أحدهما الآخر، كالليل والنهار " (اليمني: 4686/7)
"تعاقب: تعاقب في يتعاقب، تَعاقَبًا، فهو مُتَعاقِب، والمفعول مُتَعاقَب فيه
تعاقب اللَّيْل والنَّهَارُ: جاء أحدهما بعد الآخر " تعاقبت الانتصارات: تتابعت، تلاحقت، توالى-
تعاقبت الفصول: تتابعت بانتظام المتعاقبان: اللَّيْل والنَّهَار- على تعاقب العصور: على مرَّ
العصور، تعاقبوا في الحراسة، تناوبوها وتداولوها، تعاقبوا في الخدمة، بالتَّعاقب: بالتَّناوب،
واحداً بعد الآخر " (عمر: 1524/2)

ثانياً: التزامن والتعاقب اصطلاحاً:

يعد مصطلحا التزامن والتعاقب من المصطلحات المتشاكلة والمتوالدة إذ إنَّها متولدة من مصطلح الزمن وقد ذكر أنَّه قد ترجم إلى الزمن المروي، وزمن الراوي والمدة. (ينظر مرتاض: 201) كما تحدَّث عبد الملك مرتاض، نقلًا عن جيرار، عن ثلاثة حدود للمصطلح هي: التزامن والتعاقب والمدة. ويعود الزمن، في أطف دلالاته، إلى معنى التراخي والتباطؤ "أي كأنَّ حركة الحياة تتباطأ دورتها لتصدق عليها دلالة الزمن التي تحول العدم إلى وجود حسي، أو زمن يسجِّل لحظة من الحياة في حركتها الدائمة وديمومتها السرمدية" (مرتاض: 202). بمفهوم الزمن مفهوم مجرد غير محسوس، ويتجلى الوعي به من خلال ما يُلقبه من أثر على الأشياء بتأثيره الخفي الكامن وراء الظاهر، لا من خلال مظهره في حدِّ ذاته (بو خاتم: 125). ويؤكد عبد الملك مرتاض أنَّ مفهوم الزمن يُعدّ من المفاهيم الكبرى التي خاض في دراستها العلماء والفلاسفة والرياضيون، دون أن يجمعوا على تعريفٍ محدّد له؛ ويستند في ذلك إلى قول باسكال إنَّه من المستحيل، بل ومن غير المجدي أيضاً، تحديد مفهوم الزمن (مرتاض: 202). لذلك لم نجد -بحسب علمنا - من حدد مصطلحاً اصطلاحياً للالتزامن والتعاقب. وإنَّما يستطاع تحديد ذلك من خلال القرائن الموجودة داخل النص أو من خلال السياق.

ثالثاً: الفرق بين التزامن والتعاقب

أمَّا الفرق بين التعاقب والتزامن، فيرى سوسير أنَّ دراسة نسق اللغة يمكن أن تكون إمّا تزامنية وإمّا تعاقبية. ويعرّف هذين المصطلحين بقوله: " يمكن أن نصف كل ما يرتبط بالجانب السكوني من عملنا بأنَّه تزامني، في حين يُوصف كل ما له علاقة بالتطور بأنَّه تعاقبي " (المصاروة : 23). بمعنى أنَّه ليس هناك أساس مشترك بين التزامنية والتعاقبية بحسب رأيه ، إذ يقصد بالتزامنية علاقة بين عناصر مترابطة في آن واحد في حين قصد بالتعاقبية تعويض هذه العناصر بعضها مع بعضها الآخر عبر الزمن، فالمستوى التزامني بهذا الحال ينظر إلى الصيغ اللغوية نظرة وصفية، أمَّا المستوى التعاقبي فينظر نظرة تطورية .

في حين لو انتقلنا إلى ياكبسون نجد بأنَّه لا يفرق ولا يفصل بين المستويين التعاقبي والتزامني في الدراسة اللغوية، فالمستوى التعاقبي عنده قد تخلّى عن مفهوم الحشد الميكانيكي، الذي استبدله

بعلم اللغة التزامني الوصفي، مستبدلاً إياه بمفهوم البنية والنظام، إذ يرى إن تاريخ أي نظام ما هو نظام في الوقت نفسه، فضلاً عن أي نظام تزامني يتضمن ماضيه ومستقبله (ينظر ترجمة الخطيب: 102)، فنراه مؤكداً على الترابط والانسجام الحتميين على المستوى التزامني والتعاقبي، إذ إن التغيير يبدأ ويحدث مع مستوى التعاقب، فضلاً عن إن المستوى التزامني ليس ثابتاً، بمعنى إن المستوى التزامني بهذا المعنى يكون غير ثابت وإنما تكمن فيه لحظات ثبات، فقد أعطى مثلاً على الشريط السينمائي والإعلانات المصورة فيقول لو: "عمداً إلى مثال الإدراك السينمائي، فإذا سئل مشاهد عن الوضع التزامني على سبيل المثال ماذا ترى على شاشة السينما في هذه اللحظة؟ فإنه سوف يعطي إجابة تزامنية ولكنها ليست إجابة ساكنة، ذلك بأنه يرى في تلك اللحظة خيولاً، أو بهلواناً... فإن هذين التقابلين المؤثرين.... لا يتطابقان مع الواقع. حيث إن التزامني يحوي عناصر ديناميكية عدة، ومن الضروري أن نأخذ هذا بنظر الاعتبار عندما نتخذ طريقة دراسة تزامنية" (ترجمة الامارة: 64) أما هيلمسليف فيرى: "العناصر متحركة باستمرار، لكن النظام لا يمكن الحديث عنه، إلا بتزامنية معينة، ويستحيل الحديث عن النظام في الحركة. إذن النظام من شأن التزامنية، والعناصر المكونة لهذا النظام من شأن التعاقبية. فالتركيب ليس عنصراً بل نظاماً لذلك فالدراسة الدياكرونية [التعاقبية] للتراكيب مستحيلة، إذ لا يمكن أن تقوم إلا على تقارب الأنظمة السانكرونية التزامنية" (ياكسبون: 149)

وما يعيننا في هذا البحث أن التزامنية والتعاقبية عنصران يعالجان "الموقف اللساني في لحظة بعينها من الزمان، أي تهتم وتعنى بوصف الحالة القائمة للغة ما تجلى للغة في هذه الحالة في هيئة نظام منسوق يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع بعينه" (مقالات كامل: 227).

رابعاً: الأفعال والأدوات والقرائن التي دلت على التزامن والتعاقب في قصة امرأة العزيز

- الجمع بين فعلي حاستين، لفاعل واحد نحو رايته وسمعته
- أفعال القلوب: إن من صفات هذه الأفعال أن تتزامن مع مفعولها الثاني؛ لأنّ الشك إنّما يقع في الخبر ولا ينفصل الشك عن المشكوك، لذلك يكون التزامن مع المفعول الثاني.
- المفعول لأجله: إن غاية المفعول لأجله أن يكون علة للفعل والعلة لا يمكن إلا أن تتزامن مع فعلها لأنّها علة لوقوع الفعل.

○ تزامن الحال وعامله :

- 1- ألف التثنية .
- 2- (مع) إذ إنّها تقتضي مشاركة ما بعدها مع ما قبلها، نحو جاءني زيد مع عمرو، فعمرو قد تزامن مجيئه مع زيد فهما متشاركان في زمن المجيء .
- 3- الواو المصاحبة .
- 4- (الآن)
- 5- إذا الفجائية وثقاً إذا التي للمفاجأة مقام الفاء كقوله تعالى (وإنّ لصبيهم سيئاً بما قدّمتم أيديهم إذا هم يفتنون) (الروم : 36) لأنّ المفاجأة تعقيب تراجع .
- 6- ما الظرفية التوقيفية .
- 7- الفاء العاطفة: وتكون للتشريك والترتيب والتعقيب نحو قولنا: جاء زيد فعمرو فمعناه إنّ مجيء عمرو وقع بعد مجيء زيد.

8- أن الزائدة.

9- السياق العام.

خامساً: الاستلزام التخاطبي

يعد الاستلزام التخاطبي محوراً مهماً من محاور اللسانيات وبخاصة اللسانيات التداولية، إذ ظهرت بوادر هذا المصطلح على يد غرايس، حينما دعي لإلقاء محاضرات ويليام جيمس في جامعة هارفارد، إذ نشر بحثه الموجز عن المنطق والمحادثة، وقد تحدث به عن الإضمار الذي كان من الواجب أن يتحدث عن مبدأ التعاون (عبدالفتاح: 84)، والذي قامت عليه نظريته في الأساس فقد حكى مقولته المشهورة " لتكن مساهمتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك. في المرحلة التي تجري فيها. ما تم ارتضاؤه من أهداف أو وجهة للمحاورة التي اشتركت فيها" (ربول: 612/2) إن قوام ومفهوم الاستلزام التخاطبي يكمن في فكرة جوهرية مؤداها أن جمل اللغة تدل في أغلبها على معان صريحة، وأخرى ضمنية تحدد دلالاتها داخل السياق الذي وردت فيه، فالاستلزام التخاطبي هو: "عمل المعنى أو لزوم شيء، عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنّه شيء يعنيه المتكلم ويوحى به ويقترحه ولا يكون جزءاً مما تعنيه الجملة بصورة حرفية" (اسماعيل: 78). وقد أوجب غرايس على المتلقي أن تكون لديه بعض المعطيات المتوافرة فيه منها المعنى الوضعي، ومراعاة مبدأ التعاون وقواعده، والمعرفة بالسياق، والمعرفة لدى المرسل إليه، وقد كان شغل غرايس هو كيف للمتكلم أن يقول شيئاً ويعني به شيئاً آخر، والعكس كذلك كيف يكون للمتلقي أن يسمع من المتكلم شيئاً ويفهم منه شيئاً آخر، فكان الحل إنّه أورد فيما أسماه مبدأ التعاون بين المتكلم والمستمع وهذا المبدأ يشتمل على أربعة مبادئ فرعية هي: (نحلة: 34)

- 1- مقولة (الكَم) أو القدر وتعتمد على كمية المعلومات الواجب تقديمها للمخاطب من دون زيادة أو نقص.
- 2- مقولة (الكيف)، وتندرج تحت هذه المقولة قاعدة عامة حاول أن تجعل إسهامك التخاطبي صادقاً وتتجلى منه قاعدتين:
 - أ- لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب
 - ب- لا تقل ما تفتقر إلى دليل كان عليه
- 3- مقولة (الملاءمة) أو المناسبة أو الإضافة، وتقع في هذه المقولة قاعدة واحدة اجعل كلامك ملائماً أو مناسباً للموضوع.
- 4- مقولة (الجهة) أو الطريقة، وتمثلها قاعدة عامة قوامها (كن واضحاً) وتنفرع منها ثلاثة قواعد فرعية:
 - أ- كن موجزاً.
 - ب- كن مرتباً.
 - ت- تجنب الغموض، وكن واضحاً.

المبحث الثاني: المعاني المستلزمة

قبلولوج في اظهار الاستلزام التخاطبي في سورة يوسف قصة امراء العزيز انموذجاً ، في تزامن وتعاقب زمن الوقائع من أحداث في النص و زمن السرد ، نبين أن القصة التي صورها لنا الله سبحانه وتعالى من قصة سيدنا يوسف عليه السلام كانت على نسق (المشاهد)، ووقع التداخل بين المشاهد بفعل الحوار الذي ترد فيه، فكان متداخلاً جداً في توضيح الآلية التي يكون على أساسها اظهار الاستلزام التخاطبي، لذلك سوف نقوم في معرض الكلام عن المعاني المستلزمة بتوضيح القرائن اللفظية والسياقية التي أدت إلى التزامن والتعاقب .

الآية الأولى: قال تعالى: (وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)) .

المروادة على صيغة المفاعلة التي تعطي معنى المزامنة مع ما أرادته المرأة من سيدنا يوسف، وقد سبق بالمحال العقلي التهيؤ منها، لكن التهيؤ والمرادة كانتا مترامتان مع وجود سيدنا يوسف في تلك اللحظة، والتهيؤ الذي قامت به لم يكن الدعوة الأولى عقلاً وإنما الدعوة الأخيرة لأن المرأة لا تحتاج الى مثل هكذا دعوة إذا لم تضطر إليها اضطراراً، لعدم إمكانية الاستغناء عنها بالإغراءات الأخرى الخفية واللطيفة ولا سيما إنه كان يعيش في قصرها، لكنها اضطرت لفعل هذا الأمر لأنه لم يفلح معها ما كانت تقوم به لذلك راودته وتهيأت له مترامنة مع تغلق الابواب؛ لأن هذا التصعيد من المرادة والتغلق يناسب مقدار الانفعال النفسي لديها ، وعليه فإن التغلق يتضمن استلزاماً ضمناً بأنها تريد عمل الفاحشة ضمن حدود الإرادة وليس بالكلام فقط ، لذلك جاء التعقيب الأول من سيدنا يوسف بقوله معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي ، فقله: معاذ الله إنه ربي فعل كلامي إخباري يدخل ضمن الالتزامات لدلالته على تمام الاخلاق فكلمة معاذ مصدر أضيف إلى لفظ الجلالة إضافة المصدر إلى معموله، وقد أفاد التعليل والسبب من الامتناع، فضلاً عن إن قوله (إنه ربي) كذلك افادة (ان) التعليل لوقوعها في صدر الجملة وقوله ربي يتضمن إنه الرب الذي أعبد (النعماني: 58/11) ولا تعبدونه فهو الذي أتم عليه هذا الخلق ، والمستلزم من الخطاب (إنه ربي) يعود على العزيز، إذ لا يليق أن أجازيه بعد فعله الخير معي بأن أفعل هذه الامر القبيح، فهل فعل جزاء الاحسان القباحة، وختم الآية إنه لا يفلح الظالمون، تعليل ثان وتعقيب ثان عن الامتناع، وجيء بها لتقوية المعنى في السياق، وإذا ما نظرنا إلى النص القرآني فنجد صراحة في جواب سيدنا يوسف عليه السلام بعد المروادة والتهيؤ من امرأة العزيز هو: التآبي المصحوب بذكر نعمة الله عليه وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود، مع تجميل النص القرآني بقوله هيت لك، ومن جميل ما يلحظ في هذه الآية إنه لم يذكر اسم المرأة ولم يذكر أنها زوجة العزيز وإنما كنى عن الأمر بأن قال (في بيتها) فالمقام في مثل هذا الأمر يستدعي الإضمار؛ لأن المعنى المستلزم أنها تريد الواقعة معه لذلك يذهب العرب إلى عدم اطلاق الاسم للحياء وهذا المعنى من جميل ما يرد في القرآن في مراعاة الظروف .

الآية الثانية: قال تعالى: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)) .

(ولقد همت به وهم بها) السؤال المتبادر إلى الذهن أول الأمر هو: هل (وهم بها) داخل في حكم القسم بمعنى والله لقد همت به أم هو خارج عنها؟ فالمستلزم التخاطبي يجيز للقارئ الأمرين، إذ لو قدر خروجه من حكم القسم فيجعله كلاماً قائماً برأسه وله أن يقف على (ولقد همت به)، ومن جعلها تحت حكم القسم جاز له أن يبتدأ بقوله: (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) وفيه أيضاً إشعار بالفرق بين الهمين (الزمخشري: 456/2)

وفي هذه المسألة أقوال ستة ذكرها صاحب النكت فقال: " أحدها: أنه هم بها أن يضرها حين راودته عن نفسه ولم يهم بمواقعتها قاله بعض المتأخرين. الثاني: أن قوله ولقد همت به كلام تام قد انتهى، ثم ابتدأ الخبر عن يوسف فقال: (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه)، ومعنى الكلام لولا أن رأى برهان ربه لهم بها قاله قطرب. الثالث: أن همها كان شهوة، وهمه كان عفة. الرابع: أن همها لم يكن عزمًا وإرادة وإنما كان تمثيلاً بين الفعل والترك، ولا حرج في حديث النفس إذا لم يقترب به عزم ولا فعل، وأصل الهم حديث النفس حتى يظهر فيصير فعلاً ... الخامس: أن همها كان حركة الطباع التي في قلوب الرجال من شهوة النساء وإن كان قاهرًا له وهو معنى قول الحسن. السادس: أنه هم بمواقعتها وعزم عليه " (الموردي: 24/3)، فضلًا عن ذلك والله أعلم أن المستلزم التخاطبي في هذه المسألة يستوجب عدم الهم من الأصل كما قال به بعض النحويين لما تقدم من قوله عليه السلام إنه ربي أحسن مثوأي، في حين وكما ذكرنا بأن المستلزم النحوي (القواعد) يوجب وجود الهم من قبله وجاءت لفظة (برهان) وهو الشيء القطعي واليقيني من كلام العرب، فهو إما يعلم بالضرورة أو بخبر قطعي أو بقياس نظري، والمستلزم من رؤيته للبرهان هو الحيلولة المباشرة والسبب الرئيس في عدم وقوع سيدنا يوسف عليه السلام في المعصية وقوله تعالى: (لنصرف عنه سوءه والفحشاء) المستلزم التخاطبي إنه حينما استعاذ بالله فقال معاذ الله صرف الله عنه سوءه والفحشاء، والسوء هو النناء القبيح، والفحشاء: هو موقعة الزنا (السمعاني: 23/3)

الآية الثالثة: قال تعالى: (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25)) .

تزامن التسابق بينهما باختلاف النوايا المستلزمة لكل واحد منهما فسيدنا يوسف عليه السلام كان في نية الهرب وامرأة العزيز كانت في نية الطلب فاختلف الأمر بينهما لكنهما تزامنا في الركض ودلالة التزام ألف التثنية التي تثبت الفعل وأوضحت اختلاف النوايا، والتسابق يوجب أن يكون أحدهما متقدمًا على الآخر في الخطي، وهو مستلزم لعملية (القد) وهو القطع الشق الطولي للقميص، " وألفيا سيدها لدى الباب " تعقيب بعد التسابق ووصولهما إلى الباب وقد القميص إن وجدا كلاهما العزيز وقد ذكر القرآن سيدها ولم يقل سيدهما لأن السيد في اللغة تأتي بمعنى الزوج، وأرجع الأمر عليها فقط من دون يوسف عليه السلام لاحتمال إنه ليس سيدنا ليوسف عليه السلام، أو لأنه قد اتخذه ولدًا كما تقدم من قوله تعالى أول ما اشتراه إذ قال لها: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا"، والمستلزم التخاطبي في مثل هكذا موقف أن تسكت أو أن تجد لنفسها اعتذارًا لكن نجد المرأة المكتملة التي تعطي جوابًا مباشرًا وحاضرًا في مثل هكذا موقف وهو أن تتهم يوسف عليه السلام بأنه هو من بادر وأراد أن يفعل السوء، لكن تبقى هي تلك المرأة العاشقة التي تبادل بالعقاب المأمون "إلا أن

يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" وهي قد تكلمت بالجزاء، بمعنى أنه ثابت متقرر. وهذا الجزء من الآية يستلزم أن يكون للسجن الوقع الأعظم في النفوس لا سيما بذوي الأقدار، إذ قرن بأليم العذاب.

الآيات الرابعة والخامسة والسادسة: قال تعالى: (قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)) . المستلزم من هذا الكلام (كلام امرأة العزيز) أن يدافع يوسف عليه السلام عن نفسه وأن يعقب بالجواب وأن يبرأ نفسه ويقول لم أفعل ذلك وأن يلحق ما اتهمته به عليها وهو أن المرأة هي من راودته، بمعنى أن سيدنا يوسف دفع الاتهام عن نفسه باتهامها، وقد استعمل سيدنا يوسف في رد الاتهام الجملة الخبرية المثبتة، ليخفف حدة غضب العزيز ليأتي الشاهد بعد ذلك ويوضح الأمر، فالمستلزم التخاطبي أن الشاهد هذا لم ير شيئاً لكنه سئل فأجاب إن كان هذا فهذا وإن كانت هكذا فهكذا، وقد سميت شهادة لأنها تفرض النزاع وتوضح الحقيقة، فقال: إن كان قميصه قطع وشق من الأمام فذلك بسبب من مدافعتها له وإبعاده عن نفسها وهو يريد الاعتداء عليها فهي في تلك الحالة صادقة وهو كاذب. أمّا إن كان الأمر معكوساً فالقميص قطع وشق من الخلف فهو بسبب تملصه منها وتعقبها له حتى الباب، إذن تكون النتيجة إنها هي الكاذبة وهو الصادق، والمستلزم التخاطبي في مثل مكانة العزيز وزوجته في المجتمع أن يقوم الذي سئل بتقديم الفرض الأول لأنه إن صح يقتضي صدقها وكذبه، فهي السيدة وهذا فتى، فيكون من اللياقة أن يذكر الفرض الأول! والأمر لا يخرج عن أن يكون قرينة، لذلك قدم الفرض الأول على الفرض الثاني. وجملة "إنه من كيدكن" مقول القول، أي ملزم في هذا الكلام أنه هذا الكيد الذي عرف عنكم، سواء أكان هذا الكيد هو ما تعرف عليه الناس من كيد النساء، أو إن هذا الكيد هو ما يعرفه العزيز من زوجته ومن أعانها بمعنى أن العزيز يعرف قدرتها على خلق المكائد وجملة "إن كيدكن عظيم" مستأنفة في حيز القول، مستلزمه للكيد الذي قصده العزيز فاستلزامه يوضح هذا الكيد ويصفه بأنه عظيم، وأدوات الشرط لا تستلزم "أكثر من الربط والتسبب بين مضمون شرطها ومضمون جوابها من دون تقييد باستقبال ولا مضي. فمعنى ، إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وما بعدها : أنه إن كان ذلك حصل في الماضي فقد حصل صدقها في الماضي"

(ابن عاشور: 294/12).

الآية السابعة: قال تعالى: (يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29)) . المستلزم من الموقف الذي شاهده العزيز أن يغضب وأن يفعل أفعال غير ما قام بها حينما رآهما يخرجان من الباب على الصورة المشبوهة ، لكنه استمع لكلام زوجته وكلام يوسف عليه السلام وكلام الشاهد وهذا يظهر أنه رجل حليم أو مغلوب على أمره قليل المروءة (الزمخشري: 2436) وقد تزامن الكلام مع سيدنا يوسف وامرأة العزيز في حالة كشف الحقيقة من قبل الشاهد ووضوح الأمر لدى العزيز لذلك استلزم منه أن يعاقب زوجته وإن يتلطف ليوسف عليه السلام فقال ليوسف بصيغة المنادى الذي حذفته منه أداة النداء لكونه قريب فاهم للحديث وفيه أيضاً تقريب له وتلطيف لمحلله وهذه من معاني حذف أداة النداء (ابو حيان: 262/6) أعرض عن الأمر واكتمه ولا تتحدث به، ثم انتقل وعقب بالحديث مع زوجته بقوله استغفري لذنبك يقول: "لامراته وقد كان لين العريكة سهلاً، أو أنه عذرهما لأنها رأت ما لا

صبر لها عنه فقال لها: استغفري لذنبك أي الذي وقع منك من إرادة السوء بهذا الشاب ثم قذفه بما هو بريء منه "إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ" ولم يقل من الخاطئات ، لأن لفظ التذكير أعم ؛ لأنه يطلق على كلا الجنسين بالتغليب" (ابو حيان: 262/6).

الآيات الثامنة والتاسعة والعاشر:

قال تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (30) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْجَبَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (32)) .

لم ينته الموقف بعلم العزيز وتأكدته وتحققه من الحادث والحكم من أحد أقارب العائلة ببراءة يوسف، بل تعاقب الموقف بمدة من الزمن فاصبح بعد أن كان ضمن دائرة ضيقة (سيدنا يوسف عليه السلام) والعزيز وزوجته والشاهد) إلى ألسنة نساء المدينة واستفاض كما قال الله تعالى: (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ) والمستلزم الخطابي في مثل هكذا حالة أن يستدعي الإشارة إلى العدد بمعنى الذي يتكلمون بهذا الشأن؛ لأن العبرة ليست بالعدد وإنما بما يقتضيه الحال ويقتضيه العرف. لذلك أصبحت هذه الحادثة في ذلك الوقت هي شغل النساء في جلساتهن الخاصة، وخلاصته: " امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ " وهذا الكلام يستلزم خطابياً أن يكون للتعجب؟ ثم الإنكار من حصوله؛ لأنها زوجة لأكبر شخصية في الدولة ترواد فتاها وخادمها عن نفسه وهي المرأة صاحبة المكانة العظيمة والرفيعة، والتعجب الأكبر أنها هي كانت المراودة وليست المراودة، وكانت الطالبة وليست المطلوبة، والمستلزم الخطابي في هكذا موقف يستدعي أن تكون النسوة وصلن إلى أقصى غايات المكر ونجد هذا في قولهن (تراود) بصيغة المضارع، ليدل على إنها لم تنته عند الحادث الذي وقع وتكف ، بل دل الفعل على الاستمرار في الطلب.

ثم أكدوا هذا المكر بتعقيب آخر هو بقولهم : "قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا " فإن (قد) قد أفادت التحقيق فاستلزم أن الحب قد تملكها سابقاً ولا تستطيع الفلات منه، فكان التزام بين المراودة والشغف بالحب من امرأة العزيز على قولهن، والشغاف معناه " خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد، والشغاف حجاب القلب، وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب" (الزمخشري: 462/2)، وموضع الجملة موضع التعليل لقوله: (تراود فتاها)، ثم بعد ذلك عقبوا زيادة في مكرهم لغاية أن قالوا: (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) لم يكن يهمهن أنها وقعت في الضلالة البينة وقد ابتعدت بذلك عن طريق الرشاد، لكن المستلزم الكلامي أن غاية مكرهن أن يصلها الكلام ، فيحملها ذلك على أن تجعلهم يرون هذا الشخص، لذلك جاءوا بالتوكيد ب (إِنَّ، واللام) لتثبيت ما يعتقدون ولإبعاد للتهمة التي يمكن أن تقال إتهن يحسدنها على سيدنا يوسف عليه السلام.

أما امرأة العزيز فإنها بعد أن تكلموا وسمعت ما قالوا من خلال قوله تعالى: (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ): أي عندما بلغها حديث النسوة وكلامهن الذي أردن به إغضابها، لثريهن يوسف وتبدي عذرها، فيتحقق لهن ما يرغبن فيه من رؤيته. وكان من المتوقع أن يصل إليها ذلك الحديث لما جرت به العادة من التواصل والتزاور بين الخدم، كما أنهم لم يقلن ذلك إلا ليلغها خبرهن، فإن لم يتحقق ذلك سعين إلى إيصاله بوسيلة أخرى. وقد تحقق لهن ما أردن، فجاء التعقيب عن طريق

ردّ امرأة العزيز بقوله تعالى: (أرسلت إليهنّ وأعندت لهنّ منّا وأنت كلّ واحدة منهنّ سكيّناً)، أي أنّها قابلت مكرهن بمكر مثله، فدعتهن إلى الطعام في دارها، وهيأت لهن ما يتكّن عليه من كراس وأرائك على عادة بيوت العظماء، وكان ذلك في حجرة الطعام، وأعطت كلّ واحدة منهن سكيّناً لتقطع به ما تأكله من لحم أو فاكهة.. ثم عقت بعد ذلك إذ قالت ليوسف عليه السلام (اخرج عليهنّ) أي أمرته بالخروج عليهنّ، وفي هذا دلالة بأنّه كان في مكان قريب أو في غرفة داخل غرفة المائدة التي كن فيها محجوباً عنهنّ، وقد تعمّدت إتماماً للحيلة والمكر بهن أن يفاجئهن وهن مشغولات بما يقطعنه ويأكلنه علماً منها بما يكون لهذه المفاجأة من الدهشة، وقد تم لها ما أرادت كما يشير إلى ذلك قوله: (فلما رأيته أكبرته وقطعن أيديهنّ) أي فخرج عليهن فلما رأيته أعظمته ودهشن لذلك الجمال البارع وذهلن فقطعن أيديهن بدلاً من تقطيع ما يأكلن ذهولاً عما يعملن أي فجرحنها بما في أيديهن من السكاكين، لفرط دهشتن وخروج حركات الجوارح عن منهاج الاختيار، حتى لم يشعرن بما عملن، ولا ألمن لما نالهن من أذى، واستعمال القطع بمعنى الجرح كثير في كلامهم فيقولون كنت أقطع اللحم فقطعت يدي، يريدون فأخطأتها فجرحت يدي حتى كدت أقطعها. ثم جاء التعقيب من النسوة بعد أن خرج عليهن يوسف عليه السلام أن قالوا: (وقلن حاش لله ما هذا بشراً إنّ هذا إلّا ملك كريم) وقولهن هذا جاء على نهج التعجب والتزيه لله تعالى أن يكون هذا الشخص الذي لم يعهد مثاله في جماله ولا في عفته من النوع الإنساني، إن هو إلّا ملك تمثّل في تلك الصورة البديعة التي تخلّب الألباب وتدهش الأبصار. (قالت فذلكنّ الذي لمثّلني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره لئسجننّ وليكونا من الصّاغرين (32)) ثم جاء التعقيب منها واعترفت أمامهن بأنّها هي التي راودته عن نفسه لأنّ المستلزم من المعنى أنّهن أي (النسوة) قد أصابهن ما أصابها عندما رأيته قال تعالى: (فلما رأيته أكبرته)، ثم عقت بعد أن اعترفت بأنّه (فاستعصم) والفاء هنا فاء التصريح بأنّه امتنع ثم جاءت بالألف والسين والتاء للمبالغة في المعنى وقولها (راودته واستعصم) دلالة منها على الإصرار بمرادته لفرط حبها له فضلاً عن بيان شموخها وقوتها بأنّه سوف يسجن إذا لم ينصاع لما تريد مؤكدة ذلك بنون التوكيد مسمعة إياه الكلام إرهاباً له.

الآيات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة

قال تعالى: (قال ربّ السّجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه وإلّا تصرّف عني كيدهنّ أصب إليهنّ وأكنّ من الجاهلين (33) فاستجاب له ربّه فصرّف عنه كيدهنّ إنّهُ هو السّميع العليم (34) ثمّ بدأ لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننّه حتى حين (35)).

جاء الرد من سيدنا يوسف على كلام امرأة العزيز بالتعقيب وتفضيل الحبس على الوقوع بالمعصية والتفضيل هنا بـ (أحب اليه) ليس تفضيل الجيد على السيء لأنّ الحبس فيه مشقة وعذاب وإنّما المشقة والعذاب أحب إليه عليه السلام من الوقوع بالمعصية ثم أنّه أعاد اسناد الفعل لامرأة العزيز والنسوة معها (يدعونني اليه) وهو مطاوعة امرأة العزيز فيما تريد؛ لذلك جاء جواب الشرط بلفظة (أصب) وهي من الألفاظ التي تشعر بالميل فقط وليس بالممارسة (ينظر ابو حيان: 273/6). فجاء التعقيب من الله سبحانه وتعالى: (فاستجاب له ربّه فصرّف عنه كيدهنّ إنّهُ هو السّميع العليم) والمستلزم الخطابي أنّ الاستجابة من الله يجب أن يتقدم عليها طلب صريح لكن ما ذكره سيدنا يوسف لم يكن بصيغة الطلب الصريح أو الدعاء " لأنّ قوله: وإلّا تصرّف

عَني، ليس فيه طلب لكن الطلب يفهم فكأنه قال: رب اصرف عني كيدهن، فصرف عنه كيدهن أي: حال بينه وبين المعصية. إنه هو السميع لدعاء الملتجئين إليه، العليم بأحوالهم وما انطوت عليه" (ابو حيان: 273/6)، وجملة (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) الآية في موضع العلة لـ (فاستجاب) أي إنَّ الاجابة جاءت سريعة من دون مهلة لأنَّ الله سريع الاجابة.

ثم جاء التعقيب من العزيز وزوجته (ثم بدا لهم) والعجيب إنَّه بدا للعزيز وزوجته السجن بعد أن تأكد العزيز من براءة يوسف عليه السلام والسبب في ذلك "حِينَ شَاعَتِ الْقَالَةُ عَنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ فِي شَأْنِهِ فَكَانَ ذَلِكَ عَوَبَ انْصِرَافِ النِّسْوَةِ لِأَنَّهَا خَشِيتُ أَنْ تُنْصَرَفْنَ أَنْ تُشِيعَ الْقَالَةُ فِي شَأْنِهَا وَشَأْنُ بَرَاءَةِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَرَامَتْ أَنْ تُعْطِيَ ذَلِكَ بِسَجْنِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى يَطْهَرَ فِي صُورَةِ الْمُجْرِمِينَ بِإِرَادَتِهِ السُّوءَ بِامْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَهِيَ تَرْمِي بِذَلِكَ إِلَى تَطْوِيعِهِ لَهَا. وَلَعَلَّهَا أَرَادَتْ أَنْ تُوْهِمَ النَّاسَ بِأَنَّ مُرَاوَدَتَهُ إِيَّاهَا وَقَعَتْ يَوْمَ ذَلِكَ الْمَجْمَعِ، وَأَنْ تُوْهِمَ أَنَّهُنَّ شَوَاهِدٌ عَلَى يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ" (ابن عاشور: 267/12)

الآيات الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة

قال تعالى: (وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (50) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّانِ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)) .

يستأنف المشهد في قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام بعد بضع سنين قضاهما يوسف عليه السلام في الحبس ليعود إلى مشهد الأحداث إذ إنَّ يوسف عليه السلام قد فسر مناماً للملك الذي عجز أن يفسره غيره؛ لذلك أراد الملك أن يراه فأرسل في طلبه فلم يجب يوسف عليه السلام ذلك مما اثار في نفس الملك أمران وهو ان قال: (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) ، وان هذا التعقيب الذي أراده يوسف عليه السلام قد اثار في نفس الملك أمراً هو لماذا امتنع يوسف عليه السلام من تأدية طلب الملك وهو الأمر الأول، والثاني يمكن أن يفهم من المعنى بأنَّه أراد أن لا يكون في نفس الملك أو أي أحد من الحضور شك في أمره عليه السلام، ومطلع الآيات تمثل قمة الاثبات المنطقي والعقلي لبراءته عليه السلام في رفضه الخروج من السجن ، ثم جاء التعقيب من الملك إذ جمع النسوة في الحادث وسألهن بأداة الشرط (إذ راودتن يوسف) ولم يقل راودتته كما قال انتوني به فحذف مع انتوني اسم يوسف وعوض عنه بالضمير وفي المرادة ذكر اسمه والسبب إنَّه في انتوني به أراد السرعة في الاتيان به، والثانية كانت تعظيماً له، والمعنى المستلزم في مثل هكذا أمر أن يسأل عن الحادث ومن هو الذي راود الآخر لكنه استعمل الشرط معهم لأنَّه قد تأكد له براءة يوسف وإنَّهن هن اللاتي أردن يوسف عن نفسه ، لذلك ولإبعاد التهمة عنهن تم التعقيب منهن أن: "قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ" وهي تبرأة لساحتهم في ذلك الوقت ثم يأتي التعقيب بعد كلام النسوة من امرأة العزيز ليتزامن مع الموقف بلفظ (الآن) لدلالته واعترافها إنَّها هي من راودته عن نفسه ولم تكتف بالاعتراف بل أعطت دليلاً آخر في قولها إنَّه من الصادقين فلم يبق أدنى شك من براءة يوسف

عليه السلام وقوله تعالى : (ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)) .
ففي هتين الآيتين يحتمل السياق وجهين:

الأول : أنَّ هذا الكلام داخل ضمن كلام امرأة العزيز والمعنى ليعلم " يوسف أنني لم أخنه وهو في السجن ولم أكذب في حبي له واعترفت قلت أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين وإن كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ، ثم بالغت في تأكيد هذا القول فقالت: (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) يعني أنني لما أقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم أنني افترضت لأن الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين " (الخازن: 289/3). وهذا الوجه يقويه عدم وجود سيدنا يوسف في تلك اللحظة في مجلس الملك لأنه طلبه ولم يأت عليه السلام، فضلاً عن ذلك الضمائر الظاهرة والمستترة في الآية التي نستطيع من خلالها أن نقول إنه داخل ضمن كلام امرأة العزيز لأن الضمائر تحتمل أن تعود عليها ، ويكون المعنى في هذا الوجه على التزامن.

أمَّا الثاني : فيكون كلام سيدنا يوسف عليه السلام وبهذا يكون الكلام فيه على التعاقب وهذا الوجه ذكره ابن القيم وحسنه فقال: " الأحسن أن يكون من كلام يوسف عليه السلام، أي إنما كان تأخيري عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أنني لم أخنه في امرأته في حال غيبته، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. ثم إنه صلى الله عليه وسلم قال: وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ وهذا من تمام معرفته صلى الله عليه وسلم بربه ونفسه. فإنه لما أظهر نزاهته وبراءته مما قذف به أخبر عن حال نفسه، وأنه لا يذكيها ولا يبرئها، فإنها أماراة السوء، لكن رحمة ربه وفضله هو الذي عصمه. فرد الأمر إلى الله بعد أن أظهر براءته " (تفسير القرآن الكريم: 330)

المبحث الثالث: الاستلزام التخاطبي:

الآية الأولى : نجد فيها أنَّ امرأ العزيز قد خرقت مجموعة من الخروقات لمبدأ التعاون وذلك؛ لأنَّ امرأ العزيز في هذه الآية تزامن استعمالها سياقاً غير مباشر (المراودة ، تعليق الأبواب، التهيو الذي كان برفق ومكر) خرق لعدد من المبدأ هي:

- 1- استلزام مقولة كيف القول بما لا يطابق الحقيقة.
 - 2- استلزام مقولة الملازمة أن يكون الكلام مناسباً للمقام.
 - 3- استلزام مقولة الأسلوب وهو تجنب الإبهام.
- أمَّا من جانب سيدنا يوسف عليه السلام فإنَّ التعقيب الذي قاله (معاذ الله إنَّه ربي أحسن مثواي) فالرد منه جاء بالسبب المباشر

- 1- استلزام مقولة الوضوح معاذ الله كلمة لا لبس فيها.
 - 2- استلزام مقولة إذ ان كلامه جاء لرد المراودة، والاعتراف بالجميل.
- في حين لو انتقلنا الى نظرية التأدب بحسب الاستلزام التخاطبي لوجدنا أنَّ امرأ العزيز تقع ضمن استراتيجية التصريح المباشر وهو مبدأ تأدب سلبي ؛ لأنه جاء في سياق الاغراء، إذ جعلت سيدنا يوسف في حرج شديد يهدد بصورة مباشرة ما يمكن أن نصطلح عليه (ماء الوجه) وذلك لأنه يتعلق بحريته الجسدية، لذلك أرادت تعليق الابواب لتقليل رفض سيدنا يوسف

لاستراتيجية الإلزام المادي. والطلب في حين كان رده عليه السلام استعمالاً لمبدأ التأدب بإظهار الاحترام للسيد مع الرفض.

الآية الثانية:

الجملة الحوارية (لولا أن رأى برهان ربه) توضح بصورة جلية وجود نزعة بشرية (الطبيعة البشرية) إذ إن المبدأ في هذه الآية هو استلزام مقولة (الكم) بمعنى أن الجملة الحوارية لم تزد عما هو مطلوب من التخاطب، وذلك أن المستلزم التخاطبي يركز على وظيفة البرهان (لنصرف عنه السوء)، إذ إن المعنى المستلزم خطابياً هنا هو إظهار العفاف والتمكن الإلهي، وليس اتیان الفاحشة والمعصية. وإذا ما انتقلنا إلى نظرية التأدب بحسب الاستلزام التخاطبي نجد أن الجملة الحوارية تحكمها بحسب هذه النظرية قواعد اجتماعية وتواصلية إذ إن لفظة (برهان ربه) عملت كقيد أدبي يقطع من خلاله جميع التأويلات والإنزياعات الكلامية، ليمنع وقوع الفعل المهدد، فسيدنا يوسف أدرك بصورة جلية أن البرهان الذي جاء من الله يتحتم عليه الكف التام والانسحاب والهرب من أجل عدم الوقوع في المعصية، إذ أن لفظة (الهم) من ضمن السياقات التي أوردتها في المبحث السابق عندما تناولتها أن الهم كان الانشغال به بدافع الهرب وهي استراتيجية تحفظ للطرف الثاني كرامته وعدم الإهانة بدلاً من المواجهة أو الإهانة الصريحة وقد اختار بحسب نظرية التأدب أسلوباً ضمناً يحقق العفة من دون الاضطرار إلى التعدي اللفظي أو الجسدي.

الآية الثالثة:

(واستبقا الباب....) المبدأ الذي اخترق في هذه الآية هو استلزام مقولة الكيف لا تقل ما تعتقد إنه كذب والمستلزم في هذه الآية هو حقيقة براءته عليه السلام عبر سرد التفاصيل المتضمنة للزمن (الركض خلفه)، (قد القميص)، بدلاً من التصريح المباشر بالبراءة. وإذا ما انتقلنا للكلام عن الآية بحسب نظرية التأدب لوجدنا أن امرأة العزيز قامت بقلب الحقائق للحفاظ على ماء الوجه ولحفظ صورتها الاجتماعية لذلك أخذت بقاعدة الكياسة واللباقة (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) فبدلاً من المواجهة المباشرة قدمت تساؤلاً ما جزاء؟ لامتناس غضب الزوج.

الآيات الرابعة والخامسة والسادسة:

في هذه الآيات نجد إنه تم خرق قاعدة التعاون بأشكال عدة هي:

- 1- استلزام مقولة الكم: إذ إن الشاهد قد قدم معلومات كافية ومحددة (مكان الشق) من القميص بدلاً من إبداء الرأي مما جعل كلام الشاهد منطقياً وحتمياً في الاستنتاج.
- 2- استلزام مقولة الكيف: كلام الشاهد كان فيه التزام الصدق (صدقت ، كذبت) مستنداً على ذلك بالدليل المادي، فضلاً عن ذلك لم يقل شيئاً يفنقر الأدلة.
- 3- استلزام مقولة المناسبة: إذ إن كلام الشاهد كان على صلة وثيقة بالموضوع، فضلاً عن ذلك لعبت القرينة التي قالها دوراً حاسماً في إثبات البراءة، والمستلزم التخاطبي الذي قاله الشاهد قدم لنا قرينة مادية، وليس كلاماً مرسلًا.

- 4- استلزام مقولة الكم: (إنه من كيدكن....) كلام العزيز كان عدم القول أكثر مما هو مطلوب، إذ إن العزيز قد رأى الدليل المادي (القميص) وهو دليل يكفي أن يقول لزوجته انت كاذبة، وأن

يوسف عليه السلام صادق، لكن المستلزم التخاطبي من كلامه أراد التمويه والمراوغة ضمناً هروباً من الفضيحة.

أما بحسب نظرية التأدب فنجد تأدب الشاهد إن كان كذا فالأمر كذا وهذا عرف بالأسلوب السلبي، لعدم تقديمه اتهاماً مباشراً، بل الأدلة هي التي تتحدث. أما بالانتقال إلى العزيز فنجد قد استعمل أيضاً مبدأ التأدب لحفظ الكرامة.

الآية السابعة:

نجد في هذه الآية استلزام مقولة (لمبدأ الكيف) إذ إنَّ المعنى الظاهري (الحرفي) يأمرها بالاستغفار لذنبها. في حين جاء المعنى الضمني من العزيز لسيدنا يوسف عليه السلام بلفظة (اعرض) فهو تلميح منه بأنها مذنبية تماماً وإنَّ الموضوع أصبح معروفاً ويجب كتمانها مستعملاً التعريض (اعرض) لستر أهله إذ إنَّ الكلام في ظاهره يراد به الاستغفار وفي باطنه إقرار بالذنب والتوبيخ، أما بحسب نظرية التأدب فقد كان أمر يوسف عليه السلام بالإعراض هو موقف سلبي لأنه أمر مباشر بتجنب احراج، في حين كان امره لزوجته تأدب إيجابي لأنه قد وجه اللوم لها وأمرها بالاستغفار.

الآيات الثامنة والتاسعة والعاشر:

في هذه الآيات تم اختراق مبدأ التعاون بأشكال عدة هي :

- 1- استلزام مقولة (الكيف): فقول النسوة حاش لله.... خرق لمبدأ لا تقل ما تعتقد إنه كذب، والنسوة فعن ذلك لغاية تبرير الموقف الذي وقعن فيه وهو تقطيع ايديهن، ولإبعاد الحرج عن أنفسهن لذلك قلن (حاش لله) مبالغة بلاغية لتبرير الخطأ.
- 2- استلزام مقولة (الكم) بمعنى أنَّ كلام امرأة العزيز في قولها ذلك الذي لمتني فيه أنا راودته عن نفسه ، كان كلامها مباشراً موجز القدر الكافي المطلوب من المعلومات والسبب في ذلك انها تعمدت حذف التفاصيل التي تجعلها في موقف المدان، وانتقلت مباشرة لتقرض سيطرتها على الموقف وتضع حداً للوم من النسوة.

والعجيب في هذا الآية أنَّ امرأة العزيز تخرق قاعدة التأدب إذ تقوم بالتشهير بهن والدفاع عن نفسها بأن توقع الخطأ على النسوة " فذلكنَّ الذي لمتنني فيه " ثم بعد ذلك تنتقل لخرق قاعدة التأدب كذلك باستعمال سلطتها المطلقة لإلغاء إرادة يوسف عليه السلام، مما يوضح أن الصراع ليس صراع قوة وإنما صراع رغبات، الأمر الذي جعلها تتخلى عن قواعد اللياقة والتعذيب فالخرق الأول في هذه الآيات الوجه السلبي المتمثل بـ (فرض القيود) والثاني الوجه الإيجابي المتمثل بـ (الاستبداد) .

الآيات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة:

في هذه الآيات تم اختراق مبدأ التعاون على النحو الآتي:

- 1- استلزام مقولة (الكم) إذ إنَّ يوسف عليه السلام قد طلب صراحة بدخول السجن " قال ربي السجن أحب إلي " إذ إن المعنى المستلزم هو الاستعانة من الوقوع في الخطأ، بمعنى أنَّ العذاب المؤقت في الدنيا أهون وأخف من العذاب الآخروي، أو الوقوع في الزنا والعياذ بالله.
- 2- استلزام مقولة (الجهة أو الأسلوب) وقوله " وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن " فالمستلزم التخاطبي هنا هو اعتراف بضعف الطبيعة البشرية أمام الاغراءات، إذا لم يجد الرعاية

من الله ليكن المعنى هو الخروج من الإعلان بالضعف والخروج من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

3- استلزام مقولة (الكيف) " ثم بدا لهم..... " في هذه الآية اختراق لمبدأ الصدق والحقيقة على أرض الواقع رغم التيقن من العزيز ببراءة يوسف؛ بسبب اخفاء الحقيقة للتستر على زوجته والنسوة وعدم فضحهم.

4- استلزام مقولة (الملاءمة) (حتى حين) لأنهم بعد أن رأوا الحقيقة وجب عليه انصاف البريء لكن خوفهم من الفضيحة وإشاعة الأمر في المدينة جعلهم بدل اطلاق سراحه قد سجنوه ويمكن ان نقول هنا هو انتقال من العدل والحقيقة الى السياسة والكذب.

وفي هذه الآيات تم خرق قاعدة التأديب إذ قال يوسف عليه السلام : (السجن أحب إلي) يحمل دلالة التأديب في رفض الخطيئة بالطف وأقل العبارات ضرراً وإحراجاً، فالسجن في نظر الأنبياء أهون من المعصية، فضلاً عن ذلك الاستعانة بالله لغض البصر وصرف القلوب عن الفتنة يعكس أرقى استراتيجيات الحفاظ على الطهارة والعفة.

الآيات الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة:

في هذه الآيات تم خرق مبدأ التعاون في أشكال عدة هي:

1- استلزام مقولة (الكم) تخاطب يوسف عليه السلام مع الرسول قوله (ما بال النسوة إذ إنَّ يوسف رفض الخروج من السجن وطلب سؤال الملك عن طريق الرسول (ما بال) ، والمستلزم التخاطبي هنا لا يستفهم بل هو يخترق مقولة الكم عمداً بعدم الإجابة (نعم سأخرج) ليفهم المقابل أن القصة لم تنته عند هذا الحد وإنه من الواجب البحث عن الحقيقة.

2- استلزام مقولة (الكيف) إذ إنَّ الملك قدم سؤالاً مباشراً للنسوة وملزماً في الوقت نفسه (ما خطبك فجاء رد النسوة بالتعقيب بخرق مقولة الكيف (الصدق) مستعملين التعريض بالقول وليس الصراحة (حاش لله).

3- استلزام مقولتي (الكم) و (الكيف) وهو اعتراف امرأة العزيز الكامل بعد أن نفت النسوة أن يكون يوسف عليه السلام قد أخطأ، لذلك لجأت الى الكلام الصريح واعطاء الحقيقة كاملة (الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه).

4- استلزام مقولة (الكم) وهو ان المتكلم قد قدم قدر كافي من المعلومات (ليعلم اني لم أخنه) ، فضلاً عن ذلك أضاف شيئاً عن الطبيعة البشرية.

5- قاعدة الملاءمة وهو أن يكون الكلام وثيق الصلة بالسياق ومناسباً للمقام وهو أن العالي عن الخطأ ليس بقدره شخصية بل بنعمة من الله وفضل

وإذا ما انتقلنا للحديث عن الاستلزام التخاطبي وفقاً لمفهوم نظرية التأديب نجد أنَّ يوسف عليه السلام استعمل استراتيجيات التأديب السلبي والإيجابي بشكل متوازن لجميع الأطراف:

1- تجنب طلب العفو المباشر (التأديب السلبي) : امتنع يوسف عليه السلام عن توجيه طلباً مباشراً للملك بأن يطلق سراحه ، واستعمل بدلاً عنها أسلوباً غير مباشر عبر توجيه رسالة استفسار للملك بطلب التحقيق، مما يحفظ للملك هيئته السياسية ويجعله هو صاحب القرار في إظهار الحقيقة.

2- إبعاد شبهة الإهانة عن الملك : عبر رفض الخروج الفوري، فإنه لم يقلل من أمر الملك، بل استعمل معه طريقة مهذبة ليوضح ويبين أن الخروج من السجن المقرون بـ (تهمة الخيانة) غير مقبول، والواجب أن يكون الخروج مسبقاً برفع الظلم.

3- صون كرامة الآخرين والابتعاد عن المواجهة المباشرة: يتجلى التأدب أيضاً في سياق الآيات المالية حين بدأت النسوة وامرأة العزيز بالاعتراف؛ فقد أحال يوسف (عليه السلام) الأمر إلى التحقيق المفتوح لإعطاء فرصة للآخرين للاعتراف دون إحراج مباشر لهم، مما حقق الغاية دون تصادم مؤذٍ .

النتائج:

- لقد توصل البحث الى جملة من النتائج أهمها
- 1- التداخل الكبير في الزمن بين مصطلحي التزامن والتعاقب
 - 2- لقد كان للمصطلحين الدور الكبير في اظهار الحقيقة كما في فاستبقا وغيرها من الآيات.
 - 3- لقد تم خرق مقولة الاستلزام التخاطبي في أغلب الآيات وإن أكثر المقولات المخترقة هي مقولة الكيف والكم.
 - 4- في بعض الآيات يكون الاختراق لأكثر من مقولة والسبب كما أوضحنا أن هذه الآيات كما هي المشاهد المتداخلة التي فيها أكثر من شخصية حوارية.
 - 5- غلبة الوجه السلبي الخاص بنظرية التأدب على الوجه الايجابي.
 - 6- كانت السمة في المشاهد المتلاحقة هو الاسلوب غير المباشر في الخطاب بحسب نظرية التأدب.

المصادر

القرآن الكريم

- 1- أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت
- 2- اسماعيل : صلاح ، نظرية المعنى في فلسفة بول جريس ، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2005.
- 3- بو خاتم: مولاي علي، مصطلحات النقد العربي السيماءوي الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- 4- الحناش: د. محمد، البنيوية في اللسانيات ، الحلقة الأولى، دار الرشد الحديثة، 1980.
- 5- الخطيب: إبراهيم، نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلايين الروس، ترجمة ، ط1، مؤسسة الابحاث العربية، الشركة المغربية للناسرين المتحددين، 1982.
- 6- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ)، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- 7- ربول: أن ، وجاهك موشلر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل المنطق مقالته المنطق والمحادثة اطلالة على النظريات اللسانية والدلالية، ، ترجمة سعد الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، ط1، دار الطليعة بيروت لبنان 2003



مجلة كلية التربية الاساسية

كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (No.138) 2026, pp.351-367

- 8- س. رافيندان، البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي، ترجمة: خالدة أحمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2002.
- 9- عبد الفتاح: ترجمة نازك ابراهيم، المعنى في لغة الحوار مدخل الى البراجماتية (التداولية): ط1، دار الزهراء الرياض، 2010.
- 10- عمر: د أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 2008 م
- 11- كامل: وفاء محمد، البنيوية في اللسانيات: 227، البنيوية في اللسانيات مقالات، عالم الفكر، المجلد (26)، العدد (2)، اكتوبر ديسمبر 1997.
- 12- الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ)، النكت والعيون، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
- 13- المصاروة: ثامر إبراهيم محمد، البنيوية بين النشأة والتأسيس (دراسة نظرية) رسالة على شبكة التواصل.
- 14- النعماني: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: 775هـ)، اللباب في علوم الكتاب تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، 1998
- 15- ياكبسون، رومان أفكار وآراء حول اللسانيات والادب، ترجمة فالح صدام الامارة و عبد الجبار محمد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.
- 16- اليمني: نشوان بن سعيد (ت: 573هـ)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري، واخرون، ط1، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، 1999



P- ISSN: 3007-3650 E- ISSN: 2706-8536

Journal of the College of Basic Education

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Vol.32 (No.138) 2026, pp.351-367

Synchronicity and Succession in Surat Yusuf (The Story of Aziz's Wife as a Model) in Light of Conversational Implicature

Assistant Professor Dr. Abdulrazzaq Hamid Mustafa

College of Elementary Education

1.abdaaa.edbs@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

This study aims to shed light on two terms—synchrony and sequence—as semantic phenomena in linguistic discourse, and to examine them in light of the concept of conversational implicature. The study seeks to explain how temporal and logical relationships between events and utterances are inferred through what the speaker explicitly states and what is implied, based on context and principles of discourse. It also clarifies the role of conversational implicature in determining whether events occur simultaneously (synchrony) or sequentially (sequence), even in cases where these relationships are not explicitly stated.

Keywords: synchrony, sequence, conversational implicature, quantifier, modal